الانفعال الوجاهي وبلاغة التواصل في الحديث النبوي الشريف

د.عماد سعد شعير

كلية الآداب – جامعة حلوان

يروم هذا البحث استجلاء العلاقة بين الفعل والانفعال من جهة والتواصل من جهة أخري، ودور الانفعال في الإخبار وتوصيل الرسالة للمتلقي بالإغراء والتأثير والإيهام وفتح قناة الاتصال معه أو قطعها، لاسيما أن الانفعال ما فتئ يوجد لنفسه حضورًا بارزًا في السياقات كافة سياسيًا واجتماعيًا وفكريًا بل في السياقات الحياتية كلها، إذ هو محور أساس من محاور النفس في إدراك الوجود وتوطئة العلاقة مع الموجودات، فالنفس مجبولة على الانفعال بالمدرك إيجابًا وسلبًا، ومن ثم لا يمكن فهم ماهية الانفعال دون أن نعي دلالته الإخبارية والتأثيرية.

ولما كان الحديث النبوي الشريف مصدر تشريع فإن الانفعال فيه لاسيما الوجاهي- الذي يقوم على التواجه المباشر بين طرفي الانفعال- ليس وليد المصادفة وإنما هو وليد المكاشفة وتدخل الآخر في التكوين الفكري للأنا المرسلة، إذ إن الحديث مؤسس لقواعد تكوينية لمسار التحرك الإنساني في الوجود، ومن ثم فالانفعال في الخطاب النبوي يكشف لنا الأبعاد التواصلية مع المتلقي ومدى فهمه لهذا الانفعال وتقبله له، وكذلك تأويله في السياق المشكل.

يعتمد البحث الأحاديث الصحيحة في كتب الحديث لا سيما صحيح البخاري ومسلم بوصفهما أصح الكتب الحديثية.

ويأتي البحث في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، هي على النحو التالي:

المبحث الأول: المرجعية اللغوية والفلسفية للانفعال.

المبحث الثاني: التواشج بين الانفعال والتواصل.

المبحث الثالث: السياق الانفعالي في الحديث النبوي .

المبحث الرابع: الانفعال الوجاهي غير اللفظي في الحديث النبوي . يتضمن الانفعال الحركي، الانفعال الصامت ،الانفعال الإشاري/ العلاماتي.

المبحث الخامس: الانفعال الوجاهي اللفظي. يتضمن أبرز التقنيات اللغوية الانفعالية: الاستفهام(التقويضي،التوجيهي، الإنكاري)، التكرار، القسم والتقرير.

الخاتمة: وفيها يذكر ما توصل إليه من نتائج.

-١- يثير مصطلح الانفعال(Emotion) لدى المتلقي أول ما يثير إحساسًا بآنية الحدث وفجاءته، مردوفًا بيقين سلبيته وسرعة إزالته، والمتلقي محق في استجابته تُجاه المصطلح، بيد أنه يركن به إلى السلبية دون الإيجابية، والإيجابية أحد الشطرين البانيين للانفعال، إذ الانفعال " حالة جسمية ونفسية تحل فجأة، في أعقاب حدث غير متوقع، له دلالة خاصة بالنسبة للفرد. الارتكاس إجمالا، حاد وقصير المدة، ويرادفه تكون وجداني سعيد أو تعس".([i])

فالانفعال لا يكون إراديًا وإنما يكون ناتجًا عن مؤثر خارجي، يفجر ردة فعل متوقعة أو غير متوقعة لدى المتلقي، مصحوبة بتغيرات نفسية وجسدية، وهذا هو المسلك اللغوي الذي يقوم عليه المصطلح كما ذكر أحمد مختار عمر بقوله" الانفعال حالة وجدانية يثيرها مؤثر ما في الكائن الحي، ويصحبها تغيرات فسيولوجية، وتكون الإثارة نتيجة لتعطل فعل أو سلوك ينزع إليه الفرد أو نتيجة لتحقيق رغبة([ii])"

يؤشر المعنى اللغوي والاصطلاحي إلى بعدين: بعد مادي خارجي ظاهر يتعلق بالجسد وبعد معنوي داخلي باطن يتعلق بالنفس، والبعدان مرتبطان بتوقيت زمني قصير محدد. والقرآن الكريم يعرض لذينك البعدين - في مواضع شتى- في قصة موسى عليه السلام، قال تعالى:" قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى"([iii]) فموسى أضمر انفعال خوفه في نفسه، في حين أنه لم يسيطر على انفعاله حيال تجلي الله عز وجل للجبل، قال تعالى على لسان موسى:" قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ"([iv])

الانفعال هنا مادي خارجي شمل موسى كليًا؛ نتيجة مؤثر خارجي قوي وهو اندكاك الجبل، وهذا ما بدا أيضًا في انفعال السحرة حين ألقوا سجدًا، قال تعالى:" فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى"

إن علامات الانفعال الجسدية كثيرة، سواء أكانت كلية- شاملة الجسد- أم جزئية مرتبطة بجزء من الجسد، " بدءًا من العرق الغزير، وجفاف الفم، وتغير الإيقاعات التنفسية والقلبية، حتى التعديلات الهرمونية والعصبية الكيميائية"(v)

ولا يعني ذلك أن الانفعال يظل حبيس العلامات الجسدية والنفسية وإنما يتجلى في الانفعال اللغوي الذي يتولد بوصفه رد فعل مباشر، فينعكس على البينية التركيبية للغة، وكذا التموقع اللغوي، إذ يتوحد الفعل مع الانفعال في آن. ومن ثم لا يتوقف الانفعال على كنه العامل الانفعالي وإنما يرجع بشكل خاص إلى طبيعة المنفعل وأيديولوجيته وثقافته، فالانفعال " يرتبط على وجه الخصوص بالفرد، وحالته النفسية والوجدانية، وشخصيته، وتجاربه الماضية، أي بكل ما يكون جبلته الخاصة التي بمقتضاها يستشعر على نحو خاص به أحداث وسطه"(vi)

إذن يتفاوت الانفعال بين الشخوص والمجتمعات وفقًا لمرجعيات معرفية وسلوكية، ومن ثم تختلف طبيعة الانفعال النفسي والجسدي بين الأفراد في المجتمع وكذاك بين المجتمعات.

وينبجس الانفعال الفردي أو الجمعي؛ نتيجة الاختلاف بين المتوقع والمحقق، فيكون إيجابيًا أو سلبيًا إذا علا أحدهما على الآخر، وهذا يرتبط كله بحالة الإشباع لدى المتلقي.

الانفعال السالب والموجب" يرتبطان قبل كل شيء بأهمية الحاجة واحتمال الإشباع. وهذا القانون يبين بالصيغة التالية: أ= ح (إ ع – إ ع)

حيث إن أ تعني الانفعال، ح الحاجة، إ ع الإعلام الضروري المتوقع للإشباع، إ ع الإعلام السهل المنال في لحظة معينة"(vii)

احتمالات التوقع بؤرة وجود الانفعال وتوجيهه، فما بين الإعلام الضروري المتوقع والإعلام السهل المنال يتجلى الانفعال بإيجابيته وسلبيته، فعلو الإعلام السهل المنال يجلب انفعالا إيجابيًا وعلو الإعلام المتوقع يجلب انفعالا سلبيًا.

ف" عدم كفاية الإعلام الجاهز(أ ع أكبر من أ ع) يولد انفعالات سلبية (قلقًا، خشية، غضبًا إلخ) ببذل الفرد جهده لتقليصها، أما الانفعالات الإيجابية (فرح، متعة، حماسة) فإنها تبدو عندما الإعلام السهل المنال يتجاوز المتوقع (أ ع أكبر من أ ع) "(viii)

تقليص الانفعالات السلبية وزيادة الانفعالات الإيجابية مرهون بالبعد التداولي للانفعال، الذي يتحكم المتلقي/ المنفعل في توجيهه وفقًا لطبيعة استجابته للموقف، ومن ثم قد يمثل الانفعال انكسارًا أو هزيمة للمتلقي أو فشلا، أو رد فعل فوري غير محكوم بنوازع العقل، أو شكلا من أشكال التواصل مع الآخر والتأثير فيه إيجابًا وسلبًا بشكوله المتباينة،أو قد يمثل تلك الاستجابات كافة.

يلزم الانفعال سلوك يعكس طبيعته وبين دلالته، كما أشار جان بول سارتر بقوله:" الانفعال يظهر في جسد مضطرب يلتزم نوعًا معينًا من أنواع السلوك، ويمكن للاضطراب أن يبقى بعد السلوك، ولكن السلوك إنما يكون شكل الاضطراب ودلالته. ومن ناحية أخرى فإن السلوك يصبح دلالة صرفة أو خطأ عاطفيًا."([ix])

يعكس السلوك كنه التواصل مع المتلقي الخاص المنفعل عليه والمتلقي العالم، فالمنفعل يؤصل بانفعاله وسلوكه الذي يكون شكل اضطرابه الجسدي تواصله مع الآخر انقطاعًا أو اقترابًا أو اشتراكًا أو تقاطعًا، اتكاء على الوظيفة المحورية التي يؤديها التواصل من خلال الانفعال.

إن الانفعال رؤية عفوية خاصة للعالم يصارع فيها الوعي بكينونة الحدث، كما قال سارتر:" أصل الانفعال انحدار عفوي يعيشه الوعي تجاه العالم فما يعجز الوعي عن تحمله بشكل ما يعمد لإدراكه بصورة أخرى"([x])

-٢- إذا كان التواصل يقوم على " إشراك شخص أو هيأة organisme مموضع في فترة ما في نقطة معينة- في تجار ب منشقة لمحيط شخص آخر أو نسق آخر مموضع في فترة أخري ومكان آخر عن طريق استعمال عناصر المعرفة المشتركة بينهما"([xi])

فإن الوظيفة التعبيرية / الانفعالية إحدى الوظائف التي يؤديها التواصل وفقًا لنموج جاكبسون، وهي وظيفة يشكل فيها المنفعل أحد أضلع مثلث التواصل- المرسل والمستقبل والرسالة – محورًا محركًا لتلك الوظيفة، " وهي وظيفة تتمحور حول المرسل أو المتكلم أي حول ذات التلفظ، حيث يعبر فيها البأث عن موقفه تجاه الموضوع المتحدث عنه محاولا أن يعطينا انطباعًا بانفعال معين(غضب، استغاثة، سرور، إلخ) صادق أو كاذب، عن طريق التعجب أو عن طريق النطق(سريع، بطئ، مرتفع، منخفض، إلخ) أو التنغيم والنبر، بما أن التلوين الصوتي يولد اختلاف المعنى إلى درجة أن الكلمة واحدة يمكن ان تؤدي حالات تعبيرية مختلفة"([xii])

ترتبط الوظيفة التعبيرية الانفعالية بالمرسل /المنفعل موقفًا وانطباعًا -إيجابًا وسلبًا - وتموقعًا لغويًا، باعتماد على مخزون لغوي يجتر منه المنفعل ما يلائم الموقف، وكذلك من الناحية الشفاهية بالارتكاز على بعض الحروف دون غيرها لتصل رسالة ما إلى المتلقي الخاص المنفعل عليه/ أو المتلقي العام، إذ النبر" كمفهوم تطريزي يستعمل عادة للتعبير عن مواقف ذاتية للمتكلم كأن يصور حالته النفسية المتوترة والغاضبة أو الهادئة، ويوظف لهذا الغرض ضمير "الأنا" و" je " le، و" le "moi."[xiii]

فالبنية اللغوية تعكس حالة المنفعل النفسية إزاء الموقف الانفعالي من خلال التعبير اللغوي، فتتبدى معالم ضعفه أو قوته أو همومه أو رؤيته في تغيير العالم.

ويؤشر ذلك إلى الانفعال الخارجي الذي تترجمه اللغة، إضافة إلى الانفعال الداخلي الذي تترجمه أعضاء الجسم الباطنة والظاهرة.

ولا يعنى ذلك أن المتلقي / المنفعل عليه لا يكون له دور أو استجابة تجاه المنفعل، فيكون سلبيًا، وإنما يتبدى دوره في فك شفرة رسالة المنفعل العضوية واللغوية، والتفاعل معها إيجابًا أو سلبًا وفقًا لطبيعة فهمه للانفعال وكذاك توجيهه له.

وينبعث دور المتلقي / المنفعل عليه من الوظيفة الإفهامية، وهي وظيفة أرجعها جاكبسون إلى المرسل إليه في التواصل اللغوي، وتقوم الوظيفة الإفهامية " باستثمار قناة التواصل وما توفره اللغات الطبيعية من أسلوب النداء والأمر والاستفهام والتعجب والتمني؛ وذلك بغرض لفت انتباه المتلقي والتأثير عليه"[xiv]؛ إذ تجعل تلك الأساليب المتلقي محور التركيز في توجه رسالة المرسل.

وتميل الوظيفة الإفهامية إلى ضمير المخاطب "أنت" في مقابل ضمير المتكلم " أنا" في الوظيفة التعبيرية وكذلك فعل الأمر بما يعكسه من بعد إلزامي، وإن لم يحقق الأمر بغيته سوى بسلطة عليا من المرسل تجبر المتلقي على تنفيذ أمره وإلا تحول الأمر إلى الترجي في حال الندية أو المساواة بين طرفي الاتصال المرسل/ المنفعل والمرسل إليه / المنفعل عليه.

ما بين الوظيفة الانفعالية والإفهامية تتجلى العلاقة التواصلية بين المنفعل والمنفعل عليه وفك شفرة الانفعال من المتلقي؛ لتتضح العلاقة بينهما على النحو التالي:

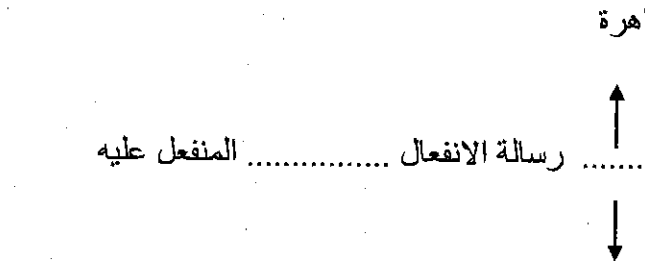

وتأتي رسالة الانفعال لتضع المتلقي في حيز الإخبار أو الإبلاغ أو الكشف أو الإجابة عن سؤال ما أو التحطيم المادي و المعنوي للأنا أو الآخر؛ بقصد تفعيل التواصل بين الطرفين؛ إذ يؤدي السياق التواصلي دورًا مبرزًا في نقل الخبر أو الرسالة وتوضيحهما وفق رؤية المرسل واستجابة المتلقي. فالانفعال يعكس سياقًا تواصليًا إقصائيًا أو تجسيريًا بين المنفعل والمنفعل عليه، تتجلى من خلاله العلاقة بين الدال والعالم.

ويرتبط هذا السياق بإحدى الوظائف التواصلية الرئيسة أيضًا عن جاكبسون وهي الوظيفة المرجعية التي" توظف العلاقة القائمة بين العلامات وما تحيل عليه في العالم الخارجي الذي

يجسده المرجع أو سياق التخاطب"([xv])

ولعل الانفعال والتواصل يرتبط بوظيفة الاتصال التسلسي التي أضافتها إلى جاكبسون كيربرا أوركيوني وهي وظيفة التعدية التي تجعل من المستقبل محطة إرسال لمستقبل آخر ومن ثم تتعدى الرسالة المرسلة إلى مستقبلين كثر، فوظيفة التعدية " ترتكز على أنه إذا أرسل المرسل (س) المعلومة (م) إلى المستقبل (ص)، فبإمكان المستقبل (ص) أن يرسل بدوره (م) إلى (ط) مستقبل آخر دون أن يحدد بنفسه التجربة القيمية ل(م). هاته الخاصية الأساسية تمكن اللغة الإنسانية(في اختلافها مثلا على نظيرتها لغة النحل) من الاشتغال كآلة متميزة لإرسال المعرفة."([xvi])

لا يتوقف التواصل على المستقبل الأصلي وإنما يتعدى ذلك إلى مستقبلين متتابعين ، اعتمادًا على المستقبل الرئيس، ومن ثم تنتقل الرسالة لتكون مؤثرة في مستوى أكبر وعالم أوسع، لاسيما إن كان للمرسل/ المنفعل سلطة ذاتية عليا مثل الأنبياء، و سلطة دنيا مثل الرؤساء ذوي المناصب.

ولعل ما يتحكم في الانفعال أو الرسالة المرسلة بين طرفي الانفعال قبولا ورفضًا ردًا ومواجهة هو ذات المنفعل وطبيعته، أي (من) ينفعل (ولمن) يتوجه الانفعال، لماذا ينفعل، ومن يتقبل ومن يرفض ويواجه. إن العلاقة الحاكمة لطرفي التواصل هي التي توجه الانفعال وتفعل تأثيراته الآنية والبعدية.

إن الصور التي يكونها أطراف التواصل (أ) و(ب) تحكم إرساليات المرسل وفقًا لطبيعة تفسير تلك الصور، التي ترجع إلي المعرفة المكونة لكل منهما عن الآخر، فصورة المرسل تتبدى في حيثية الإرسال، ف "ص أ- (أ) صورة "أ" ل"أ" : "من أكون حتى أتكلم معه بهاته الطريقة؟

ص-أ- (أ) صورة "ب" ل "أ": من يكون حتى أتكلم معه بهذه الطريقة؟

ص-ب- (ب) من أكون حتى يتكلم معي بهاته الطريقة؟

ص- ب- (أ) من يكون حتى يتكلم معي بهاته الطريقة؟"([xvii])

التصور الذي يبنيه المرسل/ المنفعل عن نفسه وعن الآخر من أكون حتى تكون تلك الطريقة في الإرسال ومن يكون حتى يستقبل ذلك، والتصور الذي ينيه المستقبل/ المنفعل عليه من أكون حتى أكلم بتلك الطريقة ومن يكون حتى يرسل الرسالة بذلك. إن طبيعة المرسل محدد أساس في توجيه الرسالة التعبيرية/ الانفعالية أو الشعرية.

-٣-

ولما كانت السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع قولا وفعلا وعملا، فما يصدر عن النبي (ص) محاط بسلطة عليا هي الإرادة الإلهية، فهو (ص) لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي، فإن كل ما يصدر عنه يكون مناط تبيين وتأويل وتفسير، ومن ثم يبرز الانفعال بوصفه أحد قنوات التفاعل مع المتلقي؛ إذ يترك بعدًا تأسيسيًا منظمًا لقواعد حركة الحياة، لاسيما أن الخطاب النبوي شفهي في المقام الأول قبل أن يكون كتابيًا، وهو ما يفعل دور الانفعال في التواصل مع الآخر الفردي والجمعي، فينتقل من مستقبل إلى آخر في إطار تسلسلي تتابعي أفقي ورأسي.

وتبدى الانفعال في الحديث النبوي الشريف في مواضع شتى، متنوعًا بين الانفعال الثنائي والثلاثي والجمعي، الذي عرض لقضايا عقدية واجتماعية وتربوية و ذاتية، ولا أعني الذاتية الانتصار للنفس والذات، وإنما تعني الذاتية أن الانفعال

كان نتيجة فعل وجه إليه(ص)؛ لأنه لا ينتصر لذاته كما ورد في حديث الحسن بن علي أنه قال: " سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي وكان وصافًا عن حلية النبي ص، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئًا أتعلق به،...قلت: صف لي منطق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:" مُتَوَاصِلُ الأَحْزَانِ، دَائِمُ الْفِكْرَةِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، طَوِيلُ السَّكْتِ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتَتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، فَصْلٌ لَا فُضُولٌ وَلَا تَقْصِيرٌ، لَيْسَ بِالْجَافِي وَلَا الْمَهِينِ، يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ، وَإِنْ دَقَّتْ، لَا يَذُمُّ مِنْهَا شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَذُمُّ ذَوَاقًا وَلَا يَمْدَحُهُ، وَلَا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا وَمَا كَانَ لَهَا، فَإِذَا تَعَدَّى الْحَقُّ، لَمْ يَقُمْ بِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، لَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا، إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَبَهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا، وَضَرَبَ بِرَاحَتِهِ الْيُمْنَى بَطْنَ إِبْهَامِهِ الْيُسْرَى، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ»[xviii]. كما أنه جمع له الحلم الصبر كما في حديث الحسن عن أبيه أنه (ص) "وجُمِعَ لَهُ الْحِلْمُ وَالصَّبْرُ، فَكَانَ لَا يُغْضِبُهُ شَيْءٌ، وَلا يَسْتَفِزُّهُ"[xix]

يؤشر ذلك إلى أنه(ص) لم ينفعل انتصارًا لذاته، ولا لشيء دنيوي خارج وإن كان مستفزًا؛ وإنما ينفعل لإبراز حق وإرساء دعائم تقوم عليها الدعوة؛ لتصل للناس كافة، فيكون الانفعال هنا رسالة توجيه وبناء وتأثير في المتلقي الحاضر والغائب.

إن بغية الانفعال هو الرغبة في بناء الخير وإقصاء الشر مستقبلا، ومن الخير والشر تتولد الانفعالات كافة، " ذلك أننا حين نرغب في اقتناء خير لم نحصل عليه بعد، أو حين نرغب في تجنب شر يعتقد أنه يحصل او حتى حين لا نتمى سوى المحافظة على خير نملكه أو غياب شر معين- وهذه هي كل الحالات التي يمكن للرغبة أن تشملها- فإن من الواضح بأن الرغبة تتطلع دومًا إلى المستقبل"[xx]

كما يؤشر ذلك إلى أيضًا إلى أنه (ص) انفعل سرورًا وفرحًا انفعالا غير لغوي، ومن ثم جمع النبي الانفعال بشقيه الموضوعيين وأطرافه المتباينة؛ دون أن يكون له منحى ذاتي في انفعاله.

-٤-تجلي الانفعال في الحديث النبوي الشريف في انفعال ظاهر غير لغوي، ارتبط بانفعال جسدي مثل الإعراض والإشاحة والإشارة والصمت والسكوت وتغير اللون وعلو الصوت والتبسم والضحك، وهذه أدوات مؤثرة في اللغة المحكية، إذ إن المتكلم شفهيًا دائمًا " لديه تشكيلة كاملة من المؤثرات مصدرها نبرة الصوت وكذلك ملامح الوجه وأشكال الوقفة والحركات وبفضل هذه الأدوات يستطيع المتكلم دائما أن يتجاوز آثار الكلمات التي يسوقها"[xxi] وانفعال لغوي يرتبط ببنية التركيب مثل الاستفهام الصور البلاغية التقرير التكرار.

الانفعال غير اللغوي

تجسد الانفعال غير اللغوي المصحوب بتغييرات جسدية- وهو انعكاس خارجي له- متنوعًا بنية وموضوعًا، شاملا لكل الانفعالات الجسدية وما تتركه من تأثير في المتلقي وعليه، سواء أكان ذلك الانفعال إيجابيًا أم سلبيًا.

٤-١ الانفعال الحركي

وهو انفعال يحدث تغييرًا في هيئة المنفعل، فيتحول من الوضع الطبيعي القائم إلى وضع فجائي متغير آني، اتكاء على أعضاء الجسد الظاهرة، بوصفها قناة إرسال معرفي مع المتلقي، تسهم في التجذير للرسالة.

وقدا بدا الانفعال الحركي كليًا كما في نهيه (ص) عن شهادة الزور، والإلحاح في ذلك النهي، وهي قضية عقدية يؤكدها الرسول(ص) بقوله من حديث عبدالرحمن بن أبي بَكْرَةَ عن أبيه كما رواه البخاري أنه قال:" كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ ثَلاَثًا الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، أَوْ قَوْلُ الزُّورِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ **وَسَلَّمَ مُتَّكِئًا ، فَجَلَسَ** فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ."([xxii])

إن الانتقال من حالة الاتكاء إلى الجلوس يشير إلى أهمية المقول وانفعال القائل به، إذ ابتدأ القول بالتحديد للكبائر ثم أردفه (ص) بالتأكيد المقرون بانفعال جسدي غير هيئته، فتغير الهيئة وتغييرها رسالة تواصلية غير لغوية تحدث في المتلقي ما تحدثه البنية اللغوية، من النهي عن شهادة الزور والارتكاز منه (ص) على النهي عنها لغويًا وغير لغوي، إذ إن الإشارة قرينة اللفظ في التعبير.

وقد برز الانفعال الحركي في أجلى صوره حين رد الرسول على حدث مفاجئ لمسه من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بأن لهزها في صدرها، قالت :" أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي، وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي هُوَ عِنْدِي - تَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - انْقَلَبَ فَوَضَعَ نَعْلَيْهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنِّي قَدْ رَقَدْتُ، ثُمَّ انْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ رُوَيْدًا، وَخَرَجَ رُوَيْدًا، وَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي، وَانْطَلَقْتُ فِي إِثْرِهِ حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَطَالَ ثُمَّ انْحَرَفَ، فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ، فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ، وَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ اضْطَجَعْتُ، فَدَخَلَ فَقَالَ: «مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ حَشْيَا رَابِيَةً؟»، قَالَتْ: لَا، قَالَ: «لَتُخْبِرِنِّي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، قَالَ: «فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي؟» **قَالَتْ: نَعَمْ، فَلَهَزَنِي فِي صَدْرِي لَهْزَةً أَوْجَعَتْنِي**، ثُمَّ قَالَ: «أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ؟»، قُلْتُ: مَهْمَا يَكْتُمُ النَّاسُ فَقَدْ عَلِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «فَإِنَّ جِبْرِيلَ

أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ، وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيَّ، وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ، فَنَادَانِي فَأَخْفَى مِنْكِ، فَأَجَبْتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ، فَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَ الْبَقِيعَ، فَأَسْتَغْفِرَ لَهُمْ»، قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُولِي السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ»([xxiii])

تجسد الانفعال النبوي هنا في لهزة السيدة عائشة، أي الضرب بجمع اليد، كما قال ابن منظور" وقيل اللهز الدفع والضرب، واللهز: الضرب بجُمْع اليد في الصدر وفي الحنك مثل اللكز "([xxiv]) لتصل الرسالة مباشرة إلى المتلقي بعدم قبوله (ص) لما فعلته أم المؤمنين؛ انطلاقًا من وضعه موضع الظلم، وهو قوله" يحيف الله عليك ورسوله".

ورد الفعل الانفعالي جاء نتيجة فعل لم يكن متوقعًا من النبي تجاه السيدة عائشة، ومن ثم فإن التباين بين الإعلام السهل المنال والمتوقع هو ما ولد الانفعال، إذ المتوقع ألا تخرج السيدة عائشة ظنًا منها أن الرسول خرج إلى إحدى زوجاته، والإعلام الحادث هو خروجها رضي الله عنها، ومن ثم انبثق الانفعال غير الإيجابي؛ نتيجة ارتفاع الإعلام الضروري المتوقع للإشباع على الإعلام السهل المنال في لحظة ما.

ولما كان المنفعل عليه هنا على وعي بشأن المنفعل وكنهه ووضعه" من انفعل" فإن التلقي الانفعالي كان له استجابة خاصة؛ إذ تلقت السيدة عائشة الانفعال من النبي، فغيرت المسار الحواري للحديث، فقالت " ماذا قال لك؟" وهو ما يعكس قبول الانفعال وأن المنفعل عليه لم يكن في الوضع الذي يدفعه إلى رده أخذ موضع المنفعل.

إن الانفعال الثنائي هنا مثل اتجاهًا تواصليًا واحدًا من المنفعل/المرسل إلى المنفعل عليه المرسل إليه دون أن يتحول المرسل إلى مستقبل.

وفي وجاه اللهز الرافض كان انفعال ضرب الرضا والإعجاب، كما روى مسلم في صحيحه من حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أنه قَالَ:" قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} . قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»([xxv])

فالضرب هنا انفعال منه بفراسة أبي، وقدرته على استجلاء أعظم آية في القرآن، فكان ضرب الرضا مرسلة من النبي تقر بها رسالة الإقرار والتقرير، إقرار بأعظم آي القرآن، وتقرير منه بقدرة أبي العلمية، ومن ثم لم يرمس النبي ذلك وإنما دعا له بأن يكون العلم هنيئًا له.
طرفا الانفعال في حال تلاحم لا تناحر، ومن ثم يمنح المنفعل عليه من الأنا المرسلة بعدًا ذاتيًا تأثيريًا، إذ يتماهي الآخر مع مرسلة الأنا فيتولد لديه إقرار معرفي آني وبعدي.

وقد ظهر الانفعال الحركي أيضًا في الإعراض بالوجه والإشاحة، بوصفهما من معالم الرفض، في تنفيذ حد الزنا، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال:" أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَنَادَاهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي زَنَيْتُ، يُرِيدُ نَفْسَهُ، **فَأَعْرَضَ عَنْهُ** النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَحَّى لِشِقِّ وَجْهِهِ الَّذِي أَعْرَضَ قِبَلَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي زَنَيْتُ، **فَأَعْرَضَ عَنْهُ**، فَجَاءَ لِشِقِّ وَجْهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي **أَعْرَضَ عَنْهُ**، فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ، دَعَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَبِكَ جُنُونٌ» قَالَ: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَحْصَنْتَ» قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ»[xxvi]

الانفعال المباشر إزاء الفعل الجلل هو الإعراض بالوجه ثلاث مرات، والإعراض هنا قد يدور بين إعراضين: إعراض إنكار وإعراض ستر، أما الإنكار فهو إنكاره (ص) للفعل إجمالا- أي الزنا- ورفضه، وأن يأتي به مؤمن، وهو رد فعل تلقائي تجاه الفعل " زنيتُ "، وأما الستر فهو الإعراض مرات ثلاث، والإلحاح من الرجل- ماعز بن مالك- على تتبع وجهه (ص)، حتي سأله أبك جنون؟ وكان في الفعل والجهر به شديد أذى حل بالمستمعين، ومن ثم كان التدرج للوصول إلى يقين الفعل.

ولما كان النبي (ص) هو المشرع فإن الانفعال والتواصل هنا محكوم بتأثر وتأثير، تأثر بالفعل وتأثير في المستمع، ومن ثم كان انفعالا مؤثلا لتشريع يسير عليه المسلمون من بعده، فالتزم التثبت واليقين من الجوانب كافة؛ إذ إن الانفعال هنا جمعي من مرسل لمستقبلين، ثم يتحول المستقبلين لمرسلين في تتابع تسلسلي.

ولعل إعراض النبي بوجهه عندما أخبر عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يؤكد ذلك، فقد روى عن عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ أنه قال:" بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَحْدَثَ شَيْئًا فِي سَفَرِهِ فَتَعَاهَدَ. قَالَ عَفَّانُ: فَتَعَاقَدَ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَذْكُرُوا أَمْرَهُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عِمْرَانُ: وَكُنَّا إِذَا قَدِمْنَا مِنْ سَفَرٍ بَدَأْنَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ قَالَ: فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَلِيًّا فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، **فَأَعْرَضَ عَنْهُ**، ثُمَّ قَامَ الثَّانِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ عَلِيًّا فَعَلَ كَذَا وَكَذَا **فَأَعْرَضَ عَنْهُ**، ثُمَّ قَامَ الثَّالِثُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَلِيًّا فَعَلَ كَذَا وَكَذَا **فَأَعْرَضَ عَنْهُ**، ثُمَّ قَامَ الرَّابِعُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَلِيًّا فَعَلَ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّابِعِ **وَقَدْ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ** فَقَالَ: " دَعُوا عَلِيًّا، دَعُوا عَلِيًّا، دَعُوا عَلِيًّا، إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي "([xxvii])

فالإعراض الثلاثي هنا يعكس انفعال النبي بما أُخبر به ورفضه له أو إنكاره، وردفه مباشرة تغير وجهه (ص)، وتغير الوجه قد يكون إراديًا لا طبيعيًا ، كما قال ديكارت:" صحيح أن هناك بعض أعمال الوجه السهلة الملاحظة، كما هو الحال في تجاعيد الجبهة في الغضب وفي بعض حركات الأنف والشفتين في الغيظ والاستهزاء، غير أن هذه الأعمال لا تبدو طبيعية بل إرادية. وبشكل عام فإن أعمال الوجه أو العينين يمكن أن تغيرها النفس حين تريد أن تخفي انفعالها" ([xxviii])

فالإعراض وتغير الوجه حملا دلالة الرفض والإنكار من النبي للرسالة أو المرسل عنه. وهو ما بدا جليا في مزج الإعراض بتكرار الأمر" دعوا" مرات ثلاث، والأمر هنا يحقق بغيته لأنه مرسل من قوة عليا هو النبي (ص).

والإعراض هنا لا يعني انقطاع التواصل مع المرسل من التلقي، وإنما يعني عدم قبول المتلقي للرسالة، فيتجلى الإعراض بوصفه انفعالا بالمرسل وتغذية راجعة تؤشر إلى استقبال الرسالة والتصرف فيها.

وقد اقترن إعراض النبي (ص) بالإشاحة تأكيدًا للإنكار، كما روى مسلم من حديث عدي بن حاتم أنه قال:" ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّارَ فَأَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ» ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» " ([xxix])

الإشاحة هنا ردف الإعراض؛ لتأكيد رسالة التحذير للمتلقي من النار إعراضًا وجدًا، إذ لما كانت الإشاحة تأتي بمعنيين أحدهما الإعراض والآخر الجد في الحذر كما قال ابن قتيبة: والإشاحة تكون بمعنيين أحدهما الجد في الأمر، يقال: أشاح إذا جد، والآخر الإعراض بالوجه، يقال: أشاح إذا عدل بوجهه وهذا معني الحرف في هذا الموضع ومنه حديثه الآخر أنه قال: اتقوا النار ولو بشق تمرة ثم أعرض وأشاح أي عدل بوجهه وذلك فعل الحذر من الشيء أو الكاره لأمر"([xxx])) فإنها تحمل في ثناياها المعنيين اللذين يؤشران إلي تواصل قصدي، الذي يقصد به النبي

(ص) تحقيق غرض محدد تجاه متلقيه، إذ " يتواصل الناس فيما بينهم لأغراض معينة، فعندما نتكلم أو نكتب أو نرسم نحن نسعى حينئذ إلى بعث رسائل إلى الآخرين، ونستهدف غايات محددة، وثمة أربعة أهداف أساسية: الاكتشاف والتقارب والإقناع واللعب"([xxxi])

فالانفعال بالإعراض والإشاحة يهدف إلى التأثير في الآخرين للتأكيد على مفهوم مركزي في التواصل هو الإنكار والتحذير من النار والإلحاح على هذا الإنكار بتكرار الإشاحة، وتحديد مسببات النجاة المادية بالصدقة والمعنوية بكلمة طيبة، ليجمع فئات المسلمين كافة غنيهم وفقيرهم.

ولعل التركيز على الإشاحة بدا في رواية البخاري التي ذكرت الإشاحة مقرونة بالتعوذ مباشرة من النار، فقد روى البخاري عن عدي بن حاتم أنه قال:" ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّارَ، فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، - قَالَ شُعْبَةُ: أَمَّا مَرَّتَيْنِ فَلاَ أَشُكُّ - ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»([xxxii])

فالتعوذ رسالة لغوية مباشرة قرنها النبي ص بانفعال غير لغوي يؤكد تلك الرسالة وهو الإشاحة التي ترمي هنا إلى الإعراض والإنكار.

والإعراض والإشاحة هما انفعال لازم لغضبه (ص)، إذ إنهم يعرفون الغضب في وجهه والرضا كما قال الآجري:" وَقَوْلُهُ: إِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ: مَعْنَى أَعْرَضَ عَدَلَ بِوَجْهِهِ وَذَلِكَ فِعْلُ الْحَذِرِ مِنَ الشَّيْءِ وَالْكَارِهِ لِلْأَمْرِ" ([xxxiii])(الشريعة للآجري ١٥١٦/٣.)

إن الانفعال الحركي قناة اتصال بين المرسل والمتلقي، تحمل رسالة دلالية خاصة بالفعل، يفك المتلقي شفرتها ويقف على مقصديتها والغرض المتحقق منها، وهذا أمر مهم في عملية التواصل التي لا يمكن أن تحصر في التواصل اللغوي، " فالتواصل الإنساني لا يمكن حصره في تبادل لفظي تحركه قصدية صريحة يدرك فحواها طرفا الفعل الإبلاغي، بل بؤرته مجموع ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية التي تستوطن الذات (الإيماءات اللباس طريقة الجلوس واستقبال الضيف.....) وتستوطن محيط هذه الذات أيضًا (ما يعود إلى طريقة التغاطي مع الفضاء والزمان وأشكال العمران)"[xxxiv]

الجسد شريك محوري في التواصل، والانفعالات الجسدية تعكس سلوكات بانية غير لسانية، فإذا كان اللسان يعبر عن فكر، فإن الجسد بانفعالاته يمثل رؤية غير لسانية للعالم الخارجي.

٤ـ٢ الانفعال الصامت

بدا الصمت الانفعالي أحد مسارات التواصل في الحديث النبوي الشريف في كثير مواضع، متنوعًا بين الصمت والسكوت. وهناك خط رابط بين المصطلحين حتى إنهما ترادفا معنى " فالصمت والصموت الصمات: السكوت كالإصمات والتصميت" (xxxv) وإن كان الصمت يعكس حالة دوام للحدث والسكوت حالة تغير، فالسكوت فيه انتقال من الكلام إلى السكوت والصمت فيه بعد عن الكلام أو عدم الدخول فيه، فالسكوت "هُوَ ترك التَّكَلُّم مَعَ الْقُدْرَة عَلَيْهِ، وَبِهَذَا الْقَيْد الْأَخير يُفَارق الصمت، فَإِن الْقُدْرَة على التَّكَلُّم غير مُعْتَبرَة فِيهِ وَمن ضم شَفَتَيْه آنا يكون ساكتا، وَلَا يكون صامتا إِلَّا إِذا طَالَتْ مُدَّة الضَّم"(xxxvi)

إن الغاية الحقيقة التي يرمي إليها الصمت قصدية، تبغي إشراك المتلقي في النطق بالمعني المطروح والقبول به أو في تنفيذ فعل ما وراء الصمت، ومن ثم فإن الصمت قد يكون إلزامًا أو تبيانًا، فأما الذي هو إلزام فباعثه العي والحصر؛ نتيجة ضعف لغوي عند المتكلم، وبالتالي فهو مضطر له ومدفوع إليه، وأما الذي هو تبيان فباعثه الأساس التواصل مع الآخر عبر رسالة غير لفظية، وبالتالي فالمتكلم هو المتحكم فيه والمخير في استخدامه.

السكوت والصمت يعكسان انفعالا إيجابيًا أو سلبيًا غير لغوي تجاه الحدث الخارجي، كما في سكوت النبي المعلن للرفض في مبايعة عبدالله بن أبي سرح، بعد أن أهدر النبي دمه، فقد روى أبو داود عن مصعب بن سعد عن سعد أنه قال:": وَأَمَّا ابْنُ أَبِي سَرْحٍ فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ بَايِعْ عَبْدَ اللَّهِ، **فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ**، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟» فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا فِي نَفْسِكَ أَلَا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ. قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «كَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَخَا عُثْمَانَ مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَكَانَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ أَخَا عُثْمَانَ لِأُمِّهِ، وَضَرَبَهُ عُثْمَانُ الْحَدَّ إِذْ شَرِبَ الْخَمْرَ»(xxxvii)

السكوت المقرون بالنظر انفعال غير لغوي أو حركي ينتظر من خلاله رد فعل المتلقي، بيد أن الاتصال هنا انقطع عند المتلقي؛ إذ إنه لم يترجم الانفعال الصامت للنبى" ص" أو يفك شفرته، أو يحقق بغية النبي منه، ومن ثم جاء التدخل اللغوي المحرك للمسار الانفعالي الصامت بقوله "ص":" أما فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟"

إن المتلقي أراد قرينة شارحة للانفعال، ومن ثم أراد الصمت مصحوبًا بإيماءة التوجيه، حتى يتجلى له فهم الانفعال به، والمتلقي معذور في انتظاره للقرينة ؛ إذ "

الصمت لا يكون مبينًا حتى يكون في الكلام دليل عليه وسبيل إليه" ([xxxviii]) بيد أن النبي يقر بأنه لا تكون لنبي خائنة الأعين، والمتلقي عليه أن يفهم الرسالة الضمنية للانفعال الصامت.

وقد بدا سكوت النبي غير عاكس لانفعاله بالرضا أو الرفض في موقف كعب بن مالك حين تخلف عن غزوة تبوك، إذ روى البخاري ومسلم من حديث عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك أنه قال:"وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟» قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ يَا رَسُولَ اللهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، **فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلم**، فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبَيِّضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ» فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ"([xxxix])

سكوت النبي هنا رد فعل وجاه للخلاف بين معاذ بن جبل ورجل بني سلمة الذي ادعى راحة كعب واستلقائه، كناية بقوله" حبسه برداه والنظر في عطفيه"، وانفعال معاذ ورفضه لذلك، ولم يبد الرسول قبولا أو رفضًا، وإنما السكوت هو أداة التواصل الوجاهية مع المتلقين، الذين لم يؤشر لهم بمسلك السكوت وتوجيهه في هذا الموقف الانفعالي، ومن ثم عدل النبي بسكوته إلى توجيه الحديث إلى منحى آخر، وهو ظهور رجل من بعيد فقال له النبي "كن أبا خيثمة" فكان.

والبادي أن انفعال السكوت للنبي ص يعكس الأناة والتؤدة في معالجة الموقف، ومن ثم لم يكن هناك تعبير لفظي يمنح المتلقي تأويلا يجلي موقفه ص من كعب بن مالك.

وهو الأمر نفسه الذي نجده في هذا المقام الانفعالي لموقف كعب بن مالك، وهنا تتجلى بلاغة المتلقي الخاص/ الجمهور الخاص في التعامل مع الموقف، إذ لما لجأ كعب بن مالك إلى ابن عمه أبي قتادة -وكان محبًا له- بعد أن نهى النبي عن الكلام معه، أراد كعب أن يكتنفه أبو قتادة بتأكيد حبه للنبي، غير أن السكوت كان ردًا حاسمًا، قال كعب" فَلَمَّا طَالَ عَلَيَّ الْبَلَاءُ اقْتَحَمْتُ عَلَى أَبِي قَتَادَةَ حَائِطَهُ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: أُنْشُدُكَ اللَّهَ يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ **فَسَكَتَ**، ثُمَّ قُلْتُ: أُنْشُدُكَ اللَّهَ يَا أَبَا قَتَادَةَ أَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ **فَسَكَتَ**، ثُمَّ قُلْتُ: أُنْشُدُكَ اللَّهَ يَا أَبَا قَتَادَةَ أَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ: **اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ** قَالَ: فَلَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي أَنْ بَكَيْتُ، ثُمَّ اقْتَحَمْتُ الْحَائِطَ خَارِجًا حَتَّى إِذَا مَضَتْ خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينِ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلَامِنَا، صَلَّيْتُ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَنَا

صَلَاةَ الْفَجْرِ، ثُمَّ جَلَسْتُ وَأَنَا فِي الْمَنْزِلَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ: {ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ}"[xl]

البكاء وجاه السكوت، والشك وجاه اليقين، والمتلقي الخاص / كعب وجاه المتلقي العام/ أبو قتادة، ومن ثم ينتقل الانفعال من الخاص النبي إلى العام / قتادة، وهو انتقال تلقائي من الأعلى إلى الأدنى.

إن السكوت يمثل استنكارًا فعليًا وليس استنكارًا إيمانيًا، وإن بدا لكعب انه استنكار حب لله ورسوله، إذ امتزج الدال غير اللغوي بالدال اللغوي وهو قول قتادة الله ورسوله أعلم ، وهنا يظهر الانفعال المحرك لذلك وهو تأنيب الضمير" وهو نوع من الحزن يأتي من الشك الذي ينتابنا من أن شيئًا نفعله أو قد فعلناه ليس جيدًا ولا حسنًا، وهو يفترض بالضرورة الشك؛ لأننا لو كنا متأكدين كليًا بأن ما نفعله كان سيئًا لامتنعنا عن فعله"[xli]، من ثم فإن أبا قتادة وضع الفعل مقابل محركه وباعثه، إذ لو رأى كعب فيه عيبًا ما فعله، وبالتالي كان السكوت مقابل البكاء.

يمثل السكوت محورًا تواصليًا مهمًا مع المتلقي في الحديث النبوي الشريف؛ إذ كان اختيارًا ناجعًا في التعبير عن الموقف الانفعالي، وإن تعدد السكوت في الحديث توجيهًا وتأثيرًا ولم يقتصر على سكوت الانفعال.

٤-٣ الانفعال الإشاري/ العلاماتي

هو أساس في الانفعال، تنطلق منه شكول الانفعالات الأخرى، ويعكس انفعالا مرنًا من المنفعل؛ لأنه يعود إلى حالته الأولى بعد زواله، فهو يقوم على إظهار الانفعال بعلامات بارزة مثل احمرار الوجه والعرق وانتفاخ الأوداج والتبسم أو الغضب، ومن ثم فإنه مؤشر بارز على تغير السلوك الطبيعي للمتلقي أو المستقبل إزاء الفعل.

ولعل التغير الفسيولوجي المتعلق بتغير لون الوجه هو العلامة الأساس في انعكاس الغضب، سواء أكان ذلك وصفًا مباشرًا أم توصيفًا. وقد برز الانفعال العلاماتي في الحديث النبوي أداة تواصل مع الآخر، لاسيما احمرار الوجه، كما في حديث عبدالله بن مسعود أنه قال:" لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه و سلم ناسا في القسمة : فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك وأعطى ناسا من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة . فقال رجل : والله إن هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله . فقلت : والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه و سلم فأتيته فأخبرته بما قال **فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال :** [فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ ثم قال : [يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر] فقلت : لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثا"[xlii] .

واضح أن الانفعال هنا بدا في تغير وجه النبي بعد سماعه للكلام الذي صدر من الرجل، وهو انفعال يعكس عدم رضا النبي عن ذلك وكراهيته للكلام، وأنه يمثل إيذاء له، ومن ثم كان تغير الوجه باحمراره حمرة شديدة هو العاكس لموقف النبي وانفعاله إزاء الحدث الكلامي.

وقد بين الاحمرار طبيعة الانفعال وهو قوله" كالصرف" توصيفًا لرد الفعل، فلم يُقل احمر وجهه، وإنما كان التشبيه الوصفي هو مبينًا لدرجة انفعال النبي وعاكسًا لتأثيره فيه.

إذن مثل تغير الوجه هنا ركيزة التواصل مع المتلقي، بوصفه رسالة موجَهة للمتلقي وموجِهة له ولمسار عملية التواصل إزاء الفعل المنفعل عليه.

تغير وجه النبي علامة دالة تشي بانفعال النبي وكان الصحابة يعرفون ذلك في وجهه، كما ورد في الحديث عن زيد بن خالد الجُهَني " أن رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ اللُّقَطَةِ ، فَقَالَ : عَرِّفْهَا سَنَةً ، ثُمَّ اعْرِفْ وِكَاءَهَا ، وَعِفَاصَهَا ، ثُمَّ اسْتَنْفِقْ بِهَا ، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، فَضَالَّةُ الْغَنَمِ ؟ قَالَ : خُذْهَا فَإِنَّمَا هِيَ لَكَ ، أَوْ لأَخِيكَ ، أَوْ لِلذِّئْبِ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، فَضَالَّةُ الإِبِلِ ؟ قَالَ : فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ ، أَوِ احْمَرَّ وَجْهُهُ** ، ثُمَّ قَالَ : مَا لَكَ وَلَهَا ، مَعَهَا حِذَاؤُهَا ، وَسِقَاؤُهَا ، حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا "[xliii]

التسلسل الاستفهامي من اللقطة إلى الغنم إلى الإبل محرك لمسار التواصل مع المتلقي في إبراز حال التصرف مع اللقطة وبالتالي كان تأكيد النبي لأماراتها، ثم انحسار تلك الأمارات مع الغنم، ثم احمرار الوجه مع الإبل الذي يرمي لرفضه أن تكون الإبل في إطار ما قد يجده الإنسان دون مالك.

احمرار الوجه ليس وليد تصنع أو مناط تحكم وإنما هو رد فعل طبيعي لانفعال غضب أو فرح لا يكون فيه تحكم، إذ " لا يمكن للمرء أن يمتنع عن أن يحمر أو أن يشحب حين يهيئه لمثل ذلك انفعال معين؛ وذلك لأن هذه التغييرات لا تعتمد على الأعصاب وعلى العضلات، ولأنها تأتي كذلك بطريقة مباشرة من القلب"[xliv]

فالقلب باعث احمرار الوجه ومن ثم فإنه لا يمكن التحكم فيه، فاحمرار وجه النبي؛ نتيجة مباشرة لرفض السؤال، ومن ثم فإنه يرمي إلى قصدية تواصلية مع المتلقي يرسل النبي بها رسالة يقطع عندها السؤال عن الإبل.

وهذه العلامة الانفعالية لازمة الغضب متواترة في كثير من الأحاديث النبوية التي تؤشر إلى الانفعال السالب للنبي ص مثال احمرار وجهه وغضبه من تنازع المسلين جدالا في مسالة القدر، كما روى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:" : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَتَنَازَعُ فِي الْقَدَرِ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْنَتَيْهِ الرُّمَّانُ، فَقَالَ: أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ أَمْ

بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الأَمْرِ، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تَتَنَازَعُوا فِيهِ."([xlv])

ويبدو أن احمرار الوجه قرين للغضب، تتباين درجاته وفقا لطبيعة الموقف، كما تعدد بنيته الوصفية من التشبيه بالصرف إلى التعبير الكنائي المقرون بالدليل " فقئ في وجهه الرمان" عند رؤيته لتنازع المسلمين وهو دليل الانفعال لغضب جلي.

ولم يكن الانفعال الإشاري للغضب مقصورًا على احمرار الوجه وإنما امتزج بالتبسم، كما في حديث عبدالله بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال يذكر ما حدث مع رسول الله في سؤاله عن **تخلفه:**" فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ **عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ**، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ». فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لاَ وَاللَّهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ»([xlvi])

هنا تتجلى بلاغة المتلقي/ المنفعل عليه في تفسير إشارة الانفعال النبوي، إذ إن التبسم لم يكن تبسم رضا وإنهاء للحدث وإنما ارتآه كعب تبسم غضب، ومن ثم بدت إشارة الانفعال هي محرك التواصل بين المرسل والمتلقي، ووسيط تال للتعبير اللغوي المشير إلى الموقف الاتصالي من قبل المرسل.

وقد بدا تبسم النبي في مواقف إشارة انفعال بالرضا كما في حديث سماك عن جابر بن سمرة قال:" كنا نجلس إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فكانوا يتناشدون الأشعار ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية ورسول الله صلى الله عليه و سلم ساكت فربما تبسم أو قال كنا نتناشد الأشعار ونذكر أشياء من أمر الجاهلية فربما تبسم صلى الله عليه و سلم".([xlvii])

التبسم يركن به المرسل إلى ذاته ويترك للمتلقي بعد التأويل بعيدًا عن التعبير اللغوي المباشر، فتبسم النبي وسكوته قبول منه بالمقول، ورسالة تواصلية للمتلقي لتكرار ذلك الأمر والنأي عن ازدرائه وقاطعته.

إن الحضور الإشاري هنا يؤجل الحضور التعبيري وربما يؤخره، ومن ثم فإنه يقف حاجزًا للتعبير اللغوي المباشر،ف" العلامات الإشارية تناسب التواصل الدنيوي وتنطوي على تجريبية وتوسط" .[xlviii]

وقد بدا ذلك في موقف النبي من حديث عمر بن الخطاب لما دخل عليه حين هجر زوجاته، قال عمر:" فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ

وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ، مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ، فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: (لاَ) ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، **فَذَكَرَهُ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ** (صلى الله عليه وسلم) ، ثُمَّ قُلْتُ: لَوْ رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: لاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ، وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) ، يُرِيدُ عَائِشَةَ، **فَتَبَسَّمَ أُخْرَى، فَجَلَسْتُ** حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ"[xlix])

تبسم النبي في موضعين لموقف واحد، فانفعاله رد فعل لكلام عمر، وهو يرسل رسالة ضمنية إلى المتلقي، فإذا كان ابن بطال استنتج من تبسمه (ص) موافقة وليس منعًا أو تحريمًا لما قيل، قال:"وفى تبسم النبي لعمر حين ذكر غلبة قريش لنسائها وتحكم نساء الأنصار عليهم: دليل أن المعنيين ليسا بمحرمين "([l]) فإن التبسم هنا أيضًا يؤشر إلى انفعال إقرار وإدراك، أما الإقرار فهو إقرار لطبيعة الرجال بين أهل مكة والمدينة وتأثرهم بأهل المدينة في تعامل النساء، وأما الإدراك فهو إدراك عمر لتفضل النبي لعائشة ومجابهة حفصة بذلك، وأمرها ألا تنزل نفسها من النبي منزلة عائشة.

استجابة عمر للانفعال الإشاري كانت فورية منه بدت في جلوسه بعد قيامه، وتغير النبي (ص) وهو قوله:" فجلست حين رأيته يبتسم"

على الرغم من أن الانفعالات غير اللفظية قد لا تعكس رسالة المرسل بتفاصيلها كاملة، وقد يحار المتلقي إزاء تأويلها، فإنها تمثل وسيطًا مهمًا في إبراز الانفعال وتوصيله للمتلقي قبيل التعبير اللغوي؛ ولذا نجد الانفعال غير اللفظي ركيزة فاعلة في وسائل التواصل الإلكتروني، يتوصل من خلاله إلى التعبير عن المشاعر المتباينة (الرضا،الغضب، السرور، التعجب، الإعجاب، الصراخ...إلخ) دون التعبير اللغوي المباشر،كما ذكرت Susan Fussell بقولها:" إن وسائل الإعلام تشير إلى أن الناس يعتقدون أن الإشارات غير اللفظية هي إضافة مهمة إلى كلماتهم حين التعبير عن انفعالاتهم/عواطفهم" ([li])

-٥-

ولا ينفصل الانفعال غير اللفظي عن الانفعال اللفظي، فهما وجهان لعملة واحدة، فلا يكاد يأتي انفعال غير لغوي دون أن يكون مصحوبًا بانفعال لغوي، وكذلك لا يكاد يأتي انفعال لغوي دون أن يكون مصحوبًا بانفعال غير لغوي. وقد انتهى فندريس إلى أن" كل حدث كلامي لابد أن يخالطه عناصر انفعالية، فلا تكاد توجد جملة دون أن تتضمن عناصر انفعالية ولو كانت مبتذلة، فالشخص لا يمكن أن يستعمل كلمة واحد مرتين بالقيمة نفسها "([lii])

يرد الانفعال اللغوي مجسدًا ببنيات لغوية مشحونة بالمعاني النفسية التي تعكس طبيعة الانفعال والمنفعل كذلك، لاسيما البنية البلاغية. ولعل من أبرزها إسهامًا في التأثيل للانفعال استعارة الانفعال والتشبيه والكناية والاستفهام والتكرار والتقرير والقسم والدعاء.

وقد بدت أجلى تقنيات الانفعال اللغوي في الحديث النبوي الاستفهام والتكرار والتقرير والدعاء

٥-١ الاستفهام

بنية فاعلة في الانفعال، فإذا كان الاستفهام هو حلقة وصل بين المرسل والمستقبل فإنه في الانفعال الوجاهي يمثل توجيهًا للمنفعل عليه ورفضًا أو قبولا للمنفعل، إذ الاستفهام الذي قد يتحول في الانفعال إلى تعجب أو يتحول التعجب إلى استفهام يوجه المسار الانفعالي ويستجليه رفضًا أو نفيًا أو توكيدًا أو دحضًا أو هجومًا أو دفاعًا.

ويؤكد ذاك الانفعال الاستفهامي لموسى مع العبد الصالح، إذ إنه لما تبعه جاء انفعاله استفهاميًا، قال في غرق السفينة:"" أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١)

ثم قال في قتل الغلام أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ معي صبرا" ([iii])

إن عجيب الموقف فجر الانفعال إنكارًا بذينك السؤالين الفاتحين لأفق الاستفسار والحوار إزاء حدثين غير منطقيين، ليكسر شرط الاتباع مرة وثنتين؛ نتيجة رد فعل استفهامي تلقائي للحدثين.

الاستفهام الذي هو " طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام"([iv]) يمثل انفعالا انعكاسيًا، سواء أكان ذلك من المنفعل أم المنفعل عليه، فهو يفتح قناة التواصل بين المرسل والمستقبل.

وقد شكل الاستفهام في الحديث النبوي بعدًا انفعاليًا ملموسًا، إذ كان رد الفعل المباشر إزاء الحدث الكلامي أو الفعلي ، فتنوع في الحديث بنية وتوجيهًا، لاسيما الاستفهام التقويضي، والاستفهام الإنكاري، والاستفهام التوجيهي؛ خصوصًا أن الحديث رسالة شفهية تواصلية تكرارية.

٥-١-١

أما الاستفهام التقويضي فهو استفهام يحمل جوابًا يقوض الدعوى أو الحدث الذي ينفعل له المتكلم؛ بإثبات نفي القضية عن العموم. والعموم يدفع به المتكلم عنه كل أثر أو لوم يمكن أن يوجه إليه. وقد بدا ذلك جليًا في قوله(ص) حين قال الأعرابي واصفًا توزيع النبي للغنائم " ما هذه قسمة عدل":" ومن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟"([v])

التعبير الاستفهامي يحمل منحى انفعاليًا كما هو واضح، يقوض به النبي قول الأعرابي، إذ لا يقارن عدل أحد بما ينسب إلى القوة العليا/ الذات الإلهية ورسول الله، ومن ثم ينتفي عدل أي شخص دون الله ورسوله. ولا يجد المتلقي إزاء هذا الاستفهام سوى مشاركة التعبير الانفعالي الاستفهامي إيجابًا.

ولعل أداة الاستفهام" مَن" التي تفيد الاستعلام عن العاقلين- أفادت هنا العموم- الذي ينسب إليهم السؤال، تعمق انفعال النبي بالحدث، وتبرز من خلاله طبيعة العلاقة بين المرسل والمستقبل،" من يكون الأعرابي حتى يرسل ذاك الأمر بعدم العدل؟ ولمن يرسله؟ ومن ثم فجرت تلك العلاقة ذاك الانفعال الرافض للمطروح.

وفي هذا الإطار الانفعالي يأتي استفهام النبي للسيدة عائشة حين تبعته للبقيع، قال بعد أن لهزها في صدرها:" أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟([lvi])

الاستفهام يحمل تأنيبًا وتقويضًا لما قامت به أم المؤمنين عائشة، فهو تأنيب لإتيانها الفعل، وتقويض للراسخ في ذهنها، ومن ثم كان الاستفهام بنسب الجور إلى الله ورسوله، و يكون الجواب مقطوعًا، إذ لا يجد المتلقي ردًا إزاء ذلك، فإنه لا يأتي جور من الله ورسوله، وبالتالي كيف يدور في خلد السيدة عائشة هذا الأمر.

ولما كان الموقف الانفعالي جد حاضر فإن حزمة استفهامية شكلت محاور التواصل الثنائي بين النبي والسيدة عائشة، اكتشافًا واستجلاء وتغييرًا لمسار الحدث، فكانت تراتبية الاستفهام، ما لك يا عائشة حشيا رابية؟ ثم فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟ ثم انفجر انفعال النبي وتغيير عائشة لمسار الحوار بقولها: كيف أقول يا رسول الله؟([lvii]) تعني في البقيع.

٢-١-٥

أما الاستفهام التوجيهي فهو وسيلة انفعالية تبغي توجيه المتلقي إلى فعل ما من طريق السؤال ، تخييرًا أو رفضًا. ومن ثم لا يكون التوجيه من قبل الانفعال مباشرًا وإنما يكون ضمنيًا.

وقد بدا هذا الاستفهام في قوله ص حين رأى تنازع المسلمين في القدر:" أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟

إنه تخيير مغلق بين الفعل واللا فعل بين الالتزام واللا التزام، إنه استفهام انفعالي توجيهي رافض، توجيهي للمستقبل لما يريده النبي، رافض للواقع الذي رآه الرسول أمامه.

ولعل هذا اتضح في استفهامه التوجيهي الانفعالي (ص) حين دعاه عثمان بن عفان لمبايعة عبدالله بن أبي سرح ، قال:" أما فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟([lviii])

الاستفهام يرتكز هنا على قطع الاتصال بين النبي وأصحابه، لعدم فك الصحابة لشفرة صمته عن مبايعة ابن أبي سرح، وبالتالي كان هذا الاستفهام الانفعالي

التوجيهي إلى ما يجب أن يكون منهم إزاء هذه المواقف، لاسيما أن النبي استخدم التعبير الوصفي الإفهامي " رجل رشيد" أي يضع الأمور في موضعها،إذ إن قرينة رضاه (ص) أو رفضه بارزة في عدم مبايعته ثلاث مرات، وكان قد أهدر دمه.

ولعل المتلقي قد يكون له العذر في عدم فك شفرة الصمت، إذ إنه قد يؤول بالأناة والروية، أو العتاب، أو الفكر أو الرفض المطلق، فقرينة تأويل الصمت ينبغي أن تكون واضحة.

٥-١-٣ أما الاستفهام الإنكاري فهو قرين الانفعال سواء أكان إنكارًا لموَجَه من قبل المنفعل أم لموجه من قبل المنفعل عليه، ومن ثم تجلت هذه الوسيلة الانفعالية بارزة في الحديث النبوي ، كما في حديث عائشة رضي الله عنها :" أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا "[lix]

هنا يستبين الاستفهام الذي خرج مخرج الإنكار مجسدًا لموقف النبي الانفعالي إزاء الشفاعة في حد الله من حِب له، ومن ثم انبجس الانفعال في إنكار ذاك الأمر، دون إرداف الاستفهام بقول سوى عموم التوجيه البادي في خطبته؛ إذ الأمر جلل.

وإذا كانت الهمزة " لطلب تصديق، نحو: أزيد قائم؟ أو تصور، نحو: أزيد عندك أم عمرو؟ وتساويها هل في طلب التصديق الموجب، لا غير فالهمزة أعم، وهي أصل أدوات الاستفهام ولأصالتها استأثرت بأمور، منها تمام التصدير"[lx] فإنهاهنا لطلب التصديق، إذ إنها ردفت بفعل الشفاعة، ومن ثم إنكار هذا الفعل.

وإذا كان الانفعال قد انقطع كلامًا خاصًا عند الاستفهام في هذا الحديث فإن الاستفهام الإنكاري جاء متبوعًا بحيثيات الرد، كما في قوله ص حين سئل عن الإبل إذا وجدت:" ما لك ومالها؟ معها حذاؤها وسقاؤها حتى يلقاها ربها"[lxi] فالانفعال الاستفهامي الذي قرن باحمرار وجهه وغضبه يأتي إنكارًا للسؤال، بيد أنه معتمد على حيثيات الإنكار، فالإبل معها ما تستغني به عن الناس من الطعام والشراب، أي هي ترد الماء وتأكل من الأوراق، وبالتالي لا دخل لك بها فاتركها.

ولعل في انفعال الإنكار ما يرمي به الرسول إلى نهيه عن أخذها ، ومن ثم يكون المتلقي على دراية وتفسير لتلك الرسالة التواصلية، لاسيما أن التواصل جماعي.

ولم يقف الانفعال على الاستفهام الانفعالي المباشر وإنما فتح الاستفهام في مواقف التواصل الانفعالي استفسارًا وتأكيدًا لتصور ذهني يحجم الانفعال أو يزيده ويقويه، كما في استفهام النبي للسيدة عائشة في تغيرها عند عودته من البقيع، قال:" ما لك يا عائشة حشْيَا رابية؟ فهو استفسار عن حالها رضي الله عنها من أنها مرتفعة التنفس كأنها تجري، ثم استفهامه التأكيدي بقوله:" فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟"

الاستفهامان يمهدان للانفعال النبوي استفسارًا وتأكيدًا للتصور أو لإزالته، ومن ثم مثل ركيزة في فتح قنوات التواصل الثنائي بين النبي والسيدة عائشة، بل إنه كان أداة تخفيف الانفعال وإزالته؛ إذ سألته السيدة عائشة كيف أقول يا رسول الله؟ عند الدعاء في البقيع وبالتالي كان الاستفهام هو المغير لمسار الحوار والتواصل.

هذه التسلسلات الاستفهامية نجدها أيضًا في حديث كعب بن مالك، إذ سأل النبي تباعًا ما فعل كعب بن مالك؟ ثم عند المواجهة ما خلفك؟ ثم ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟

الاستفهامات تفتح أفق التواصل وتزيل مناطق اللبس وتعيد التصورات إلى مواضعها المرجوة من قبل المرسل والمتلقي، إنها رؤية خاصة للوجود.

٥-٢ التكرار

يمنح التكرار المعنى قوة بزيادة في العبارة أو بترديد في المعنى، ومن ثم فإنه يحمل شحنة انفعالية بنية ودلالة، إذ إنه نشأ أصلا في اللغة الانفعالية كما ذكر فندريس بأنه من " الوسائل التي نشأت في اللغة الانفعالية، ثم صار استعماله في اللغة المنطقية مجرد سياسة نحوية، أما أصله فيجب البحث عنه في الانفعال الذي يصحب التعبير عن عاطفة قد دفعت إلى أقصاها"([lxii])

فالتكرار له دلالاته الانفعالية الممزوجة بالتقرير، إذ من تقرير المعنى والصيغ يتولد الانفعال بها إيجابًا وسلبًا.

ووسيلة التكرار جد لافتة للانتباه في الحديث النبوي وصفًا أو تركيبًا، لا سيما في المواقف الانفعالية. ففي النهي عن شهادة الزور قال ص:" أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ». ثَلاَثًا. قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ». وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ «أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ». قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ"([lxiii])

التكرار هنا إقرار بعظم النهي، وانفعال النبي به حتى كرره ثلاثا، وبالتالي تصل إلى المتلقى الرسالة واضحة جلية من خلال انفعاله ص بالتكرار، إضافة إلى الفصل بين المتعاطفين بأداة التنبيه والاستفتاح " ألا " الذي يؤشر إلى عظم الأمر والتشديد على النهي عن شهادة الزور،كما قال الْقَسْطَلاني: "وفصل بين

المتعاطفين بحرف التنبيه والاستفتاح تعظيمًا لشأن الزور لما يترتب عليه من المفاسد وإضافة القول إلى الزور من إضافة الموصوف إلى صفته"([lxiv]).
إن التعبير" ليته سكت" يمثل الحالة القصوى للانفعال، وحالة الاستجابة المعرفية من المتلقي، فالرسالة قد استقرت في ذهن المتلقي، ومن ثم كانت التغذية الراجعة في هذا التعبير الذي يعمق البعد الانفعالي للتعبير القائم على التمني لزوال التكرار؛ رأفة بالنبي ص من تكرار فالرسالة قد بلغت مداها.
وهذا نجده أيضًا في تحذيره (ص) من النار، قال:" ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّارَ فَأَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ» ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ"([lxv])
جاء التكرار ملازمًا للانفعال غير اللغوي، فقال آمرًا " اتقوا النار" ثم "اتقوا النار"، والأمر هنا من أعلى إلى أدنى، سلطة عليا النبي وتابع له أدنى، ومن ثم فإن الأمر يحقق فاعلية في توجيه المتلقي، ويتحول إلى أمر نافذ يحقق إقناع الجمهور الخاص والعام، بانفعاله التكراري للأمر.
وهو الأمر ذاته في دعوته لترك علي حين شكاه بعضهم فَقَالَ بعد أن أعرض عن الأول وأشاح وعن الثاني وكذلك الثالث: " دَعُوا عَلِيًّا، دَعُوا عَلِيًّا، دَعُوا عَلِيًّا، إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي "([lxvi])

التكرار الثلاثي لفعل الأمر هو انفعال غضب واضح للنبي بما حدث مع علي ورفضه لذلك، بل زاد انفعاله جلاء بضمير المتكلم "مني" و " أنا" في توطيد الصلة النفسية والوجودية بينه وبين علي، والضمير هنا يصور الحالة النفسية الذاتية الغاضبة للنبي (ص)؛ إذ المنفعل يرتكز دائمًا على ذاته من خلال ضمير المتكلم، " واستعمال الضمائر في أي خطاب من الخطابات عمل بيد المتكلم، وهو إنشاء للعالم التخاطبي به تتحدد وجهة التخاطب وبه ترسم ملامح العلاقة بين المتخاطبين في جميع الموضوعات".([lxvii])

يؤدي ذلك الحوار الثنائي بين كعب بن مالك وابن عمه أبي قتادة، قال:" أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ **فَسَكَتَ**، ثُمَّ قُلْتُ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا أَبَا قَتَادَةَ أَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ **فَسَكَتَ**، ثُمَّ قُلْتُ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا أَبَا قَتَادَةَ أَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ: **اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ** قَالَ: فَلَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي أَنْ بَكَيْتُ"([lxviii])

التكرار الاستفهامي الذي ينبني على التلطف والرجاء، بتضمن انفعال كعب بن مالك بالموقف انفعالا يحيله على التلطف التكراري؛ لينتزع تغذية راجعة إيجابية تزيل انفعاله وتوصل لفكرة عمق الإيمان بحب الله ورسوله.

٥-٣ القسم

لما كان القسم توكيدًا لكلامك([lxix]) فإن التوكيد ينتقل مباشرة إلى المتلقي؛ لإيقاع التصور الذهني للمعنى عنده إيقاع يقين، لاسيما إذا كان السياق اللغوي انفعاليًا، فيتموقع اليمين تموقع إزاحة أو إماطة للتصور المتخيل. وقد يتموقع تهديدًا أو دفاعًا عن الأنا و الآخر في إطار النفي والتأكيد.

وتنبعث قوة القسم أو اليمين من الارتباط بالقوة الإلهية ، فهو سلطة لغوية عليا، ينسحب على الكلام من خلاله صدق تحققه أو كذبه وانتظار عقوبته، بل إنه وسيلة أولى لظهور الحق كما قال زهير بن أبي سلمى:

"فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

فذلكم مقاطع كل حق ثلاث كلهن لكم شفاء"([lxx])

ولذا يرتبط القسم بأدوات التوكيد ف" إذا حلفت على فعل غير منفي لم يقع لزمته اللام ولزمت اللام النون الخفيفة أو الثقيلة في آخر الكلمة ".

وقد تبدى انفعال النبي المرتكز على القسم في شفاعة أسامة في حد من الحدود، قال (ص):"

إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا "

إن قسم النبي انفعال واضح بقالة أسامة وانفكاك منها في الآن، يجسد حالة غضب ويؤسس لقاعدة عامة، إذ القسم هنا لا يطلق بإنكار المخاطب أو تردده وإنما يؤسس لقاعدة منهجية، تحدد توجهات التعامل والتصرف؛ ومن ثم يأتي القياس مؤكدًا لتلك القاعدة التي يؤسس لها اليمين، ففاطمة بضعة منه ص فإذا قطع يدها فى سرقة فأولى أن تقطع يد غيرها، وبالتالي ينقطع أي تواصل من المتلقي مع المرسل؛ إذ تقر الرسالة عنده.

ولعل ذلك بدا واضحًا في موقفه (ص) من زواج علي بن أبي طالب بابنة أبي جهل، قال ص خطيبًا بعد أن حمد الله وأثنى عليه :" وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا، وَاللَّهِ لاَ تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ، عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ" "([lxxi]) أو كما رواه أحمد أنه ص قال:«إِنَّمَا فَاطِمَةُ مُضْغَةٌ مِنِّي وَإِنَّمَا أَخْشَى أَنْ يَفْتِنُوهَا، وَوَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنَةُ عَدُوِّ اللَّهِ تَحْتَ رَجُلٍ» قَالَ: فَسَكَتَّ عَلِيٌّ عَنْ ذَلِكَ النِّكَاحِ وَتَرَكَهُ"[lxxii]

القسم هنا انفعال موجه لعلي بن أبي طالب، لا يقبل تفاوضًا أو ردًا، إذ إنه منطلق من سلطة عليا وهى سلطة النبوة ومن ثم تتماهي الإشكالية هنا مع القسم، فالسطة تحمل إقناعًا ذاتيًا، لاسيما السلطة الدينية.

القسم رد فعل مباشر لحدث خارجي وهو زواج علي من ابنة أبي جهل، واجهه هذا الانفعال اللغوي الحاسم للقضية، غضبًا من النبي، وعدم توقع منه أن يأتي علي بذلك.

ولما كان يمين الثقة له موضع النفاذ من المتلقي يحصن القول ويمنحه القبول ويمين الفاسق له موضع الريبة الشك من المتلقي فلا ينزل منه منزل الصدق المحقق، فإن اليمين النبوي يضفي على الكلام قوة تأثير إضافة إلى قوة الكلام ذاته قبل اليمين فهو مرسل من نبي.

وتجلى هذا في موقفه ص من عمه العباس إذ روي" أَنَّ العَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُغْضَبًا وَأَنَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: مَا أَغْضَبَكَ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَنَا وَلِقُرَيْشٍ، إِذَا تَلاَقَوْا بَيْنَهُمْ تَلاَقَوْا بِوُجُوهٍ مُبْشَرَةٍ، وَإِذَا لَقُونَا لَقُونَا بِغَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ(lxxiii).

إن مرسلة النبي هنا تؤكد مكانة عمه منه ومكانته من الناس، و المرسلة تدعم باليمين المبرز لانفعال النبي بالموقف، واليمين من نبي، ومن ثم فإن المرسلة تؤصل لدي المتلقي أن العباس صنو أبيه فما هو لوالده ص هو لعمه.

ومثل الحلف بذلك القسم محورًا موجهًا لمسار الانفعال النبوي مثلما هو كائن في حلفه عندما استعمل عاملا له فقال له: هذا لكم وهذا أهدي لي، فقام ص خطيبًا فتشهد وأثنى على الله بما هو أهله وقال:"" أَمَّا بَعْدُ، فَمَا بَالُ العَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ، فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ: هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلاَ قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ: هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ، **فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ**، لاَ يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خُوَارٌ، وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرُ، فَقَدْ بَلَّغْتُ " فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ، حَتَّى إِنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى عُفْرَةِ إِبْطَيْهِ، قَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: وَقَدْ سَمِعَ ذَلِكَ مَعِي زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلُوهُ"(lxxiv)

القسم يؤكد غضبه ص وكشف عقوبة من يخون بزعم الإهداء، فإن ما يهدى إليه يحمله على عنقه إن كان بعيرًا أو بقرة أو شاة.

تنوع اليمين بين" والله وايم الله والذي نفسي بيده والذي نفس محمد بيده" لا ينبئ فقط عن تعدد لغوي، وإنما عن تراتبية سياقية ترتبط بالقسم تصريحًا وتضمينًا، والانفعال يحدد آلية الحلف، لتكون أداة ربط وتماسك نصي بين قول ما قبل الحلف

وبعده، بل بين القول والفعل، فالحلف يعمق الصلة بين الفعل وإنجازه، إذ على المتكلم شفهيًا" أن يوجه أداءه هو فحسب وإنما كيفية وقوع ذلك الأداء في نفس المتكلم"([lxxv])

اليمين النبوي مرسلة انفعالية إلى المتلقي تقر في ذهنه منحى إبعاديًا عن ذلك الأمر، وتؤصل لاتصال تسلسلي مع المتلقين بنقل تلك الرسالة، إذ إنها مؤثلة لمبادئ سياسية عامة.

فاليمين عاكس لانفعاله (ص) ومؤكد لكلامه ومقر بعقوبة الفاعل، بغية إيصالها للمتلقي وإقناعه بها.

-٦-

تجسد الانفعال الوجاهي في الحديث النبوي من خلال الانفعال الثنائي والثلاثي والجمعي،

مرسلة تواصلية مع المتلقي، تؤثل لقضايا عقدية واجتماعية وتربوية، بتباين بين المحقق والمتوقع في سياقات لغوية وغير لغوية متباينة ، موجهها النبي (ص)، إذ هو المنفعل إزاء تلك المواقف والموجه للمتلقي الفردي أو الجمعي ،عبر تقنيات غير لغوية انفعالية مثل الانفعال الحركي المؤشر بتأثره ص غضبًا أو تحذيرًا والانفعال الصامت المبين لرفضه أو رضاه وفق تأويل المتلقي أو المرسل إليه، الذي لم يؤول كما أراده (ص)؛ نتيجة عدم وجود القرينة الموضحة للصمت كما في بيعة عبدالله بن أبي سرح، والانفعال الإشاري قرين اللفظ في التعبير عن المشاعر المتباينة، وتقنيات لغوية انفعالية مثل الاستفهام اللافت للانتباه في المواقف الانفعالية كلها؛ إذ إنه قناة تواصلية مهمة تفتح أفق الحوار بين المنفعل والمنفعل عليه أو تغلقه، ومن ثم برز بوصفه تقنية لغوية فاعلة في تجسيد الانفعال النبوي، وكذا التكرار المقرر لقضايا دينية مختلفة. كما تجلي القسم /اليمين يعكس شديد

انفعال النبي (ص) لاسيما في الشفاعة عن الحدود، ارتكانًا إلى لزوم القسم للذات الإلهية.

إن الانفعال الوجاهي محور فاعل من محاور التواصل مع المتلقي لإقرار المرسلة النبوية في أذهان المتلقين سواء أكان بالتأويل المباشر أم بالتأويل غير المباشر.

الهوامش

[i] نوربير سيلامي: المعجم الموسوعي في علم النفس، تر: وجيه أسعد (دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠١) ٣٦٦/١.

[ii] معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر(القاهرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨)١٧٢٥/٣.

[iii] سورة طه الآية ٦٦.

[iv] سورة الأعراف الآية ١٤٣.

[v] نوبير سيلامي: المعجم الموسوعي في علم النفس ٣٦٦/١.

[vi] نفسه: ١/ ٣٧٦.

[vii] نفسه: ٣٦٩/١.

[viii] نفسه: ٣٦٩/١.

[ix] جان بول سارتر: نظرية الانفعال دراسة في الانفعال الفينومينولوجي، تر: هاشم الحسيني (بيروت، دار مكتبة الحياة،د.ت) ص٦٧.

[x] نفسه: ص٦٩.

[xi] إبراهام مولز كلود زيلتمان: التواصل، تر: محمد نظيف ضمن كتاب التداولية المعاصرة والتواصل(المغرب،أفريقيا الشرق،٢٠١٤) ص٧.

[xii] عمر أوكان: اللغة والخطاب (المغرب ، أفريقيا الشرق، ٢٠٠١) ص٤٩-٥٠.

[xiii] محمد الركيك: نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة (المغرب، مجلة علامات، العدد ٢٤) ص٧٢.

[xiv] نفسه: ص٧٢.

[xv] نفسه: ص٧٠.

[xvi] كيربرا أوريكيوني: إشكالية التلفظ ، تر:محمد نظيف، ضمن كتاب في التداولية المعاصرة والتواصل(الغرب، أفريقيا الشرق،٢٠١٤) ص٦٢-٦٣.

[xvii] نفسه: ص٥٩.

[xviii] البغوي: شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويس (بيروت، المكتب الإسلامي،ط٢، ١٩٨٣)٢٧١/١٣-٢٧١.

[xix] نفسه:٢٧٦/١٣.

[xx] رينه ديكارت: انفعالات النفس، تر: جورج زيناتي (بيروت، دار المنتخب العربي، ط١، ١٩٩٣) ص٤٨.

[xxi])ج.بول و ج.ب. برازن: تحليل الخطاب،تر: محمد الزليطي ومنير التريكي(الرياض،منشورات جامعة الملك سعود، ١٩٩٧م)ص٥

[xxii] محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر(دمشق، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ) ١٧٢/٣.

[xxiii] أحمد بن شعيب النسائي : السنن الكبرى، تحقيق: حسن شلبي، أشرف عليه شعيب الأرناؤوط (بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١)٤٦٧/٢-١٥٩/٨.

[xxiv] ابن منظور: لسان العرب (بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)٤٠٣/٥ مادة لهز

[xxv] مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق:محمد فؤاد عبدالباقي(بيروت،دار إحياء التراث، د.ت)٥٥٦/١.

[xxvi] البخاري: صحيح البخاري ١٦٧/٨.

[xxvii] أحمد بن حنبل:مسند الإمام احمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوطي،عادل مرشد(بيروت،مؤسسة الرسالة،ط١، ٢٢٠٠١)١٥٤/٣٣.

[xxviii] رينه ديكارت: انفعالات النفس ص٧٢.

[xxix] مسلم: صحيح مسلم ٧٠٤/٢.

[xxx] ابن قتيبة : غريب الحديث، تحقيق: عبدالله الجبوري(العراق، مطبعة العاني، ط١٤٣٧هـ)٥٠٤/١.

[xxxi] جوزيف دوفيتو:مبادئ التواصل الإنساني،تر: حسن الطالب (المغرب، علامات،العدد٢٠٠٨،٢٩)ص١٢٦. :

[xxxii] البخاري: صحيح البخاري ١١/٨.

[xxxiii] الآجري: الشريعة

[xxxiv] سعيد بنكراد: إستراتيجية التواصل من اللفظ إلى الإيماءة (المغرب، علامات، العدد٢٠٠٤،١٢) ص١٤.

[xxxv] الفيروزآبادي: القاموس المحيط،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة(بيروت مؤسسة الرسالة،ط٢٠٠٥،٨)١٥٥/١.

[xxxvi] الكفوي: الكليات،تحقيق: عدنان درويش ن محمد المصري(بيروت،مؤسسة الرسالة،د.ت)ص٥٠٩.

[xxxvii] أبو داود السجستاني: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد(بيروت، المكتبة العصرية، د.ت)٥٩/٣.

[xxxviii] عبدالله البهلول: بحث في بلاغة الخطاب الأدبي(تونس، قرطاج للطباعة،ط١، ٢٠٠٧)ص٦٦.

[xxxix] البخاري: صحيح البخاري ٣/٦، وانظر: مسلم : صحيح مسلم ٢١٢٠/٤.

[xl] عبدالرزاق بن همام: المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي(بيروت، المكتب الإسلامي،ط٢،١٤٠٣هـ)٣٩٧/٥.

[xli] رينه ديكارت: انفعالات النفس ص١٠٨.

[xlii] البخاري: صحيح البخاري٩٥/٤. وانظر صحيح مسلم٧٣٩/٢.

[xliii] البخاري صحيح البخاري٢٧/٨. وانظر مسلم: صحيح مسلم١٣٤٨/٣.
[xliv] رينه ديكارت: انفعالات النفس ص٧٢.
[xlv] الترمذي: سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، محمد فؤاد عبدالباقي(مصر،مطبعة الحلبي،ط٢،١٩٧٥)٤٤٣/٤.
[xlvi] البخاري: صحيح البخاري ٣/٦.
[xlvii] أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد٥١٣/٣٤.
[xlviii] ميشيل رايان و جوناثان كولر: مدخل إلى التفكيك ،تر:حسام نايل(القاهرة، العامة لقصور الثقافة،٢٠٠٧)ص٥٩.
[xlix] البخاري: صحيح البخاري ١٣٣/٣.
[l] ابن بطال: شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر إبراهيم وإبراهيم الصبيحي(الرياض، مكتبة الرشد،د.ت)٥٩٧/٦.
[li] Susan. R. Fussell:, *The Verbal Communication of Emotion: Introduction and overview, p14*.www.google.com
[lii] انظر: ج.فندريس: اللغة، تر: عبدالرحمن الدواخلي ومحمد القصاص(القاهرة، مكتبة الأنجلو،د.ت) ص١٨٤-٢٠٣.
[liii] سورة الكهف الآية٧١-٧٤-٧٥.
[liv] العلوي: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز(بيروت، المكتبة العصرية،ط١، ١٤٣٢هـ)١٨٥/٣.
[lv] البخاري: صحيح البخاري٩٥/٤. وانظر صحيح مسلم٧٣٩/٢.
[lvi] النسائي : السنن الكبرى١٥٩/٨.
[lvii] نفسه: ١٥٩/٨.
[lviii] أبو داود السجستاني: سنن أبي داود ٥٩/٣
[lix] البخاري: صحيح البخاري ١٧٥/٤. انظر مسلم: صحيح مسلم ١٣١٥/٣.
[lx] المرادي:الجنى الداني في حروف المعاني،تحقيق: فخر الدين قباوة،محمد فاضل(بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢)ص٣١.
[lxi] البخاري صحيح البخاري٢٧/٨. وانظر مسلم: صحيح مسلم١٣٤٨/٣.
[lxii] ج.فندريس: اللغة ص ١٩٩-٢٠٠.
[lxiii] البخاري: صحيح البخاري ١٧٢/٣.
[lxiv] القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري(القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية،ط٧، ١٣٢٣هـ)٣٨٥/٤.
[lxv] البخاري: صحيح البخاري ١١/٨.
[lxvi] أحمد بن حنبل:مسند الإمام احمد بن حنبل١٥٤/٣٣.
[lxvii] صالح رمضان: التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية(الرياض، النادي الأدبي بالرياض،ط١،٢٠١٥) ص٩٨.
[lxviii] عبدالرزاق بن همام: المصنف٣٩٧/٥.
[lxix] انظر :سيبوية: الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي،١٩٨٨)٤٠٤/٣.

[lxx] زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح:حسن فاعور(بيروت،دار الكتب العلمية،ط١٩٨٨،١)ص١٨.

[lxxi] البخاري: صحيح البخاري٥/٢٢.

[lxxii] أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد عباس (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٩٨٣،٢)٢/٧٥٧.

[lxxiii] النسائي: السنن الكبرى ٧/٣٢٠.

[lxxiv] البخاري: صحيح البخاري ٨/١٣٠.

[lxxv] جون براون وج يول: تحليل الخطاب ص ٥.

المصادر والمراجع

المصادر

١- **البخاري: أبو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم** (ت:٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر(دمشق، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)

٢- **الترمذي:أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة** (ت:٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، محمد فؤاد عبدالباقي(مصر،مطبعة الحلبي،ط١٩٧٥،٢).

٣- **ابن حنبل: أبو عبدالله أحمد بن محمد** (ت: ٢٤١هـ)،مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوطي،عادل مرشد(بيروت،مؤسسة الرسالة،ط، ٢٠٠١).

٤- **السجستاني:أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير**(ت:٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد(بيروت، المكتبة العصرية، د:ت)

٥- **النسائي : أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب** (ت:٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن شلبي، أشرف عليه شعيب الأرناؤوط (بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١).

٦- **مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج** (ت:٢٦١هـ)،صحيح مسلم، تحقيق:محمد فؤاد عبدالباقي(بيروت،دار إحياء التراث، د:ت) [lxxv]

٧- **الصنعاني:أبو بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الصنعاني**(ت:٢١١هـ) المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي(بيروت، المكتب الإسلامي،ط١٤٠٣،٢هـ)

المراجع

أ- القرآن الكريم

ب-

١- الأجُرِّي:أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري(ت:٣٦٠هـ)، الشريعة،

٢- **أوريكيوني: كيربرا**، إشكالية التلفظ ، تر:محمد نظيف، ضمن كتاب في التداولية المعاصرة والتواصل (المغرب، أفريقيا الشرق،٢٠١٤)

٣- **أوكان:عمر**، اللغة والخطاب (المغرب ، أفريقيا الشرق، ٢٠٠١).

٤- **ابن بطال:أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال المالكي(ت:٤٤٩)**، شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر إبراهيم وإبراهيم الصبيحي(الرياض، مكتبة الرشد،د:ت)

٥- **البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء(ت:٥١٦هـ)** شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويس (بيروت، المكتب الإسلامي،ط٢، ١٩٨٣)

٦- **بنكراد:سعيد**، إستراتيجية التواصل من اللفظ إلى الإيماءة (المغرب، علامات، العدد٢٠٠٤،١٢)
٧- **البهلول: عبدالله**، بحث في بلاغة الخطاب الأدبي(تونس، قرطاج للطباعة،ط٢٠٠٧،١)
٨- **ابن حنبل: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل(ت:٢٤١هـ)**، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد عباس (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٩٨٣،٢).
٩- **دوفيتو:جوزيف**، مبادئ التواصل الإنساني،تر: حسن الطالب (المغرب، علامات،العدد٢٠٠٨،٢٩).
١٠-**ديكارت:رينه**، انفعالات النفس، تر: جورج زيناتي (بيروت، دار المنتخب العربي، ط١، ١٩٩٣).
١١- **رايان :ميشيل و جوناثان كولر**، مدخل إلى التفكيك ،تر:حسام نايل(القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة،٢٠٠٧).
١٢-**الركيك:محمد**، نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة (المغرب، مجلة علامات، العدد ٢٤)
١٣-**رمضان:صالح**، التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية(الرياض، النادي الأدبي بالرياض،ط٢٠١٥،١)
١٤-**سارتر:جان بول**، نظرية الانفعال دراسة في الانفعال الفينومينولوجي، تر: هاشم الحسيني (بيروت، دار مكتبة الحياة،د:ت).
١٥- **أبي سلمى**: زهير، ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح:حسن فاغور(بيروت،دار الكتب العلمية،ط١٩٨٨،١)
١٦-**سيبويه: أبو بشرعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي** (ت:١٨٠هـ) لكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي،١٩٨٨).
١٧-**سيلامي: نوربير**، المعجم الموسوعي في علم النفس، تر: وجيه أسعد (دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠١).
١٨-**العلوي: أبو إدريس يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي** (ت:٧٠٥هـ) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز(بيروت، المكتبة العصرية،ط١، ١٤٣٢هـ)
١٩- **عمر : أحمد مختار**، معجم اللغة العربية المعاصرة(القاهرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨).
٢٠-**فندريس: ج**، اللغة، تر: عبدالرحمن الدواخلي، محمد القصاص(القاهرة، مكتبة الأنجلو،د:ت)
٢١-**الفيروزبادي: أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد**(ت:٨١٧هـ)،القاموس المحيط،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة(بيروت مؤسسة الرسالة،ط٢٠٠٥،٨).
٢٢-**ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم** (ت:٢٧٦هـ)،غريب الحديث، تحقيق: عبدالله الجبوري(العراق، مطبعة العاني، ط١٤٣٧،هـ).
٢٣-**القُسْطَلاني: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالملك**(ت:٩٢٣هـ) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري(القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية،ط٧، ١٣٢٣هـ).

٢٤-**الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي(ت: ١٠٩٤هـ)** الكليات،تحقيق: عدنان درويش ، محمد المصري(بيروت،مؤسسة الرسالة،د.ت).
٢٥-**المرادي**: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي (ت:٧٤٩هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني،تحقيق: فخر الدين قباوة،محمد فاضل(بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢).
٢٦-**ابن منظور**: **محمد بن مكرم بن علي** (ت: ٧١١هـ) لسان العرب (بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ).
٢٧- **مولز:إبراهام وكلود زيلتمان**، التواصل، تر: محمد نظيف ضمن كتاب التداولية المعاصرة والتواصل(المغرب،أفريقيا الشرق،٢٠١٤).
٢٨- **يول:ج و ج.ب. براون**، تحليل الخطاب،تر: محمد الزليطي ومنير التريكي(الرياض،منشورات جامعة الملك سعود، ١٩٩٧م).

المراجع الأجنبية

1-**Susan. R. Fussell**:, *The Verbal Communication of Emotion: Introduction and overview, p14*.www.google.com